

دور الأسرة والمؤسسات التربوية في النهوض بالثقافة القرائية

ستي بوكليخة، نصيرة شافع بلعيد، جامعة تلمسان

settitahadi@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/03/04

تاريخ الإرسال: 2019/03/11

الملخص:

إنّ أدب الطفل أصبح اليوم له حضور قوي، بحيث يراعى فيه مستوى أعمارهم وقدراتهم على الفهم، وهو أدب موجه إلى فئة الأطفال، يسعى من خلاله مؤلفوه إلى نشر الثقافة القرائية ونشر الوعي بما يحيط عالمهم الصغير، وليغرس فيهم أسس التعاون والتعايش والاحترام. وقد كان الطفل سابقا في أحضان البيت العائلي الكبير، تحكي له الجدة الحكايات والقصص المثيرة والمشوقة، أما اليوم فهو يعاني في خضم العولمة ووسائلها المختلفة (من ثقافة الصوت والصورة) جملة من الصعوبات والتحديات جعلته يعيش عزلة وانطواء.

وبناءً عليه تسعى هذه الدراسة لإيضاح الإشكال التالي: ما هو دور الأسرة والمؤسسات التعليمية في النهوض بالثقافة القرائية؟. وهذه الدراسة ستحاول الإجابة على هذا الإشكال.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، المدرسة، المكتبة، الثقافة القرائية.

Summary:

The literature of the child has today a strong presence, taking into account the level of their age and ability to understand, a literature aimed at the children, through which the authors seek to spread the literacy culture and to raise awareness of the surroundings of their small world, and to grow on them the foundations of cooperation and coexistence and respect. The child was previously in the arms of the large family house. the grandmother tells him tales and interesting stories. Whereas today, in the midst of globalization and its various means (from the culture of sound and image), he suffers from a number of difficulties and challenges that have made him live in isolation and introversion.

Accordingly, this study seeks to clarify the following dilemma: What is the role of the family and educational institutions in promoting the culture of literacy? This study will try to answer this problem.

Keywords: Family - School - Library - the Culture of Literacy.

أطفال اليوم رجال الغد، وهم الاستثمار الأمثل لأي أمة في بناء المستقبل، ويكمن هذا الاستثمار في تنشئة وتربية وتعليم وإعداد الطفل بتلك الصورة الصحيحة. في البداية نلقى نظرة على معنى الثقافة القرائية؛ فالثقافة اصطلاحاً هي أسلوب الحياة إجمالاً، والثقافة القرائية يقصد بها النظام؛ أي تنظيم وقت للقراءة والمطالعة وهي فرع من فروع التعليم. والقراءة مهارة فردية متاحة لأي شخص، وهي تتطلب قدرة من صاحبها من السعي ورائها وطلبها والمداومة عليها لتكوين ثقافة خاصة به طيلة حياته.

والسؤال المطروح متى نبدأ في تنمية الثقافة القرائية لدى الطفل؟ وهل تنمية الثقافة القرائية تبدأ منذ دخول الطفل إلى المدرسة وتعلّم القراءة؟ أم قبل الدخول المدرسي؟.

يرى بعض الخبراء: "أنّ تنمية ميول القرائية لدى الطفل تكون في أعوامه الأولى وذلك عن طريق ترديد بعض الأغاني من الأم أمام الطفل، مع الإيقاع المصاحب لكلمات الأغنية، حيث يظهر تأثير هذا الغناء بصورة فورية في شكل ابتهاج الطفل وضحكه وسعاده"¹. يجب أن يعلم الآباء أن القراءة في الصغر تعد نوعاً من التربية على جانب كبير من الفاعلية والتأثير، لأنّ الطفل يكون كالعجينة الطرية قابلاً للتطويع كما جاء في المثل القائل "التعليم في الصغر كالنقش في الحجر".

وهناك عوامل تساهم بشكل كبير في تنمية ثقافة القرائية للطفل بداية من الأسرة، ومروراً بالمدرسة، وانتهاءً بالمكتبة.

1- الأسرة: ما دور الأسرة في تنمية وتزويد الطفل بالثقافة القرائية؟

بلا شك تشكل الأسرة الحاضنة الأولى لأيّ طفل إذ يبدأ حياته فيها، وفيها يتأثر بثقافتها وأسلوب ونمط حياتها حيث: "تعدّ مرحلة الطفولة من أفضل المراحل العمرية وأخصبها لتنمية الميل نحو القراءة لدى الإنسان، وهي القاعدة الأساسية التي نبدأ منها، وتقوم عليها تنمية الميل القرائي لدى التلاميذ"². وكلّما كان الوالدان واعين بدورهما في تنشئة طفلهما كان التأثير واضحاً جيّداً على مستقبل هذا الطفل. فالوالدان تقع عليهما مسؤولية إعداد الطفل من خلال تعويده على القراءة، وتحبيب الكتاب إليه حيث: "المنزل هو المثير الأول لميل الطفل نحو القراءة، والوالدان لهما دور فعال في تكوين الميل القرائي وتنميته بطرق واعية"³.

وأوّل ما يجب أن يعرفه الآباء طبائع أبنائهم وميولهم وأن يكونوا على وعي كامل بمراحل نموهم، والخصائص السيكولوجية التي تميز كل مرحلة من عمره، لأنّ الطفل في مرحلة معينة من عمره يتفاوت في مستواه العلمي واللغوي والفكري...

وعلى الوالدين تهيئة الجو المناسب للطفل داخل البيت وتخصيص مكان مريح للقراءة يساعد على الاستمتاع والاستفادة منها: الهدوء والنظام، والإرشاد، والتوجيه. ويعمل الوالدان على تعويد الطفل حمل الكتاب والحفاظ عليه.

إنّ الاهتمام بالكتاب يبدأ من البيت؛ فإذا نشأ الطفل في بيئة تشجع على القراءة والمطالعة؛ فإنّ حبه لها سينمو واهتمامه بالكتاب سيزيد، عكس الطفل الذي يحرم من الكتاب ويترك إلى مرحلة المدرسة فسيجد نفسه ينفر من الكتاب بل يمزقه في كثير من أحيان لجهله به، فعلى الوالدين تعويده حمل الكتاب قبل المدرسة: "وخلق العلاقة الحميمة بين الطفل والكتاب هي خير علاقة لتنمية القراءة والشغف بها والإقبال عليها"⁴. وتكون تنمية ميول الطفل من طرف الآباء بقراءة بعض القصص من طرفهم إذ تكون: "تنمية الألفة بين الطفل والكتاب عن طريق قراءة الوالدين لأطفالهم بعض القصص المشوقة"⁵. يتبيّن من هذا النص أنّ الآباء يقع عليهم الدور الأساسي في توعية الطفل بأهمية الكتاب والقراءة وخلق مناخ اجتماعي مناسب.

ولنا في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية النموذج الفذ لشخصية علا نجمها في السماء أبهر كل من نظر إليه في عصره وظلّ كذلك بعد عصره ألا وهو "سيد كتاب العربية"⁶. أبو عثمان بن بحر الملقب "بالجاحظ" الذي كان تربطه صداقة قوية مع الكتاب فهو القائل: "والكتاب نِعَم الدّخَر والعمدة، ونِعَم المجلس والعدّة، ونِعَم النشرة والنزهة، ونِعَم المشتغل والحرفة، ونِعَم الأنيس لساعة واحدة، ونِعَم المعرفة ببلاد الغربة، والكتاب وعاء ملئ علماً"⁷. وقد أحبّ الجاحظ القراءة حباً جمّاً حتى كان يكتري دكاكين للمبيت فيها للقراءة والمطالعة، يقول أبو هقّان: "لم أر قط ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ؛ فإنّه لم يقع بيده قطّ إلاّ استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى إنّ كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر والقراءة"⁸، وهذه القراءة جعلت منه كما قال شوقي ضيف: "إن كتب الجاحظ أشبه ما تكون دائرة المعارف"⁹.

ويرى بعض الباحثين أنّ البيت الذي يتوفر فيه الجوّ الملائم للطفل ينتج طفلاً مبدعاً؛ لأنّ الإبداع يبدأ من البيت وقبل المدرسة من خلال الرعاية الأولية للطفل تحت أنظار والديه بإحاطته بمثيرات تعمل على تنمية إدراكه الحسي والعقلي. وهناك مثل قلم يقول: "إذا أردت تخطيط لعام فازرع الزهر، وإذا أردت أن تخطط لعشرة أعوام فازرع الشجر، وإذا أردت أن تخطط لقرن من الزمان فاعتن بتربية البشر"¹⁰. ولكن السؤال المطروح ماذا يقرأ الطفل؟

تختلف مجالات الأطفال وتباين إلى درجة كبيرة، والقراءة تتخذ أشكالاً عديدة منها: القصص، هناك في المكتبات زخم كبير من الكتب "تتفاوت في طولها وحجمها، وتختلف في أنواعها، فمن القصص التاريخية والعلمية وقصص المغامرات والأبطال، إلى العظماء والمشاهير"¹¹. وعلى الآباء اختيار القصص التي تناسب الأطفال في كل مرحلة عمرية، فمثلاً :

➤ مرحلة الطفولة المبكرة: من 3-6 سنوات، وهي مرحلة ما قبل المدرسة يستحسن قراءة الآباء لأطفالهم: "بعض القصص المصورة مع الأطفال وأمامهم مع تمثيل المواقف بالإشارة بالوجه واليدين، وتغيير الصوت للتعبير عن المواقف، مع تجنب الحكايات غير السارة أو التي بها عنف"¹².

➤ مرحلة الطفولة المتوسطة: من 6 - 10 سنوات وهي مرحلة المدرسة التي يبدأ فيها الطفل في تعلم القراءة والكتابة، والقصص التي تناسب الأطفال في هذه المرحلة هي قصص المغامرات، الرحلات، وقصص الأبطال، بشرط أن تكون لهذه القصص مغزى شريف، وغايات فاضلة، وأن يخرج منها الطفل بنتيجة كفعل الخير، أو مساهمة في التشجير، ...

➤ مرحلة فترة المراهقة: من 12- 18 سنة، وهي من أصعب المراحل التي يمر بها الأطفال، "وهي مرحلة مهمة لا بد أن نشبع غرائزها بالكتب التي تحتوي على القيم والأخلاقيات والمعاملات بأسلوب يسير، من خلال المغامرات والقصص التاريخية والثقافية"¹³. وينصح الآباء بمساعدة الأطفال لاجتياز فترة المراهقة بطريقة صحية وسليمة.

➤ مرحلة المثل العليا: وتبدأ من سن 18 إلى ما فوق وهي مرحلة الوصول إلى درجة النضج العقلي والاجتماعي، وفيها يكون ميوله ومثله العليا، واتجاهاته في الحياة"¹⁴

2- المدرسة: من أهم البيئات التي تكوّن الطفل هي المدرسة، فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع، والمدرسة أيضا لها دور كبير في تنمية هذا البناء.

للمدرسة دور قيادي في عملية البناء، من خلال تفعيل الأنشطة الثقافية للكشف عن ميول الطفل وقدراته واستعداده الفطري وتنميته وتوجيهه بما يفيد. لأنّ المدرسة أمامها تحديات مستقبلية لإعادة بناء المجتمع من خلال تنشئة الجيل الذي من خلاله يُبنى المستقبل، والمدرسة كفيلة برفع كلّ التحديات، لأنها الحاضنة الطبيعية لكلّ طفل مبدع وعبقري. حيث: "تحقق التربية القرائية بشكل واضح إذا أتاحت المدرسة الفرصة أمام الأطفال للنمو الشامل معتمدين على أنفسهم بتدريبتهم على اتخاذ القرارات واختيار ما يريدونه، وإقامة مكاتب المدارس ومكتبات الفصول، وتوفير الكتب المناسبة للأطفال واهتماما بهم"¹⁵. يقع على عاتق المدرسة تنظيم الأطفال في نوادي للقراءة وفتح المجال للمنافسة بينهم، ويقوم أعضاء النادي بإقامة معارض داخل المدرسة لبقية زملائهم ويكون: "هدفه تنمية عادة القراءة واستمرارها طول السنة"¹⁶. وتعدّ مكتبة المدرسة: "بيئة صالحة وأساسية وتأسيسية لإثارة الميل إلى القراءة وتأكيد هذا الميل وتعديله وتنميته لدى الأطفال، المدرسة عليها أن تجعل القراءة عملية محبة للطفل"¹⁷.

وقد شاركت الجزائر في عام 2016 - في مشروع تحدي القراءة العربي، "تحت رعاية الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة لتشجيع القراءة لدى الطلاب في العالم العربي، وقد فاز أحد- أشبال الأمة- محمد بن عبد الله فرح بالمرتبة الأولى في التحدي بعد أن تم قراءة وتلخيص 50 كتابا"¹⁸. ويهدف المشروع إجمالاً إلى نشر وتوعية الطلاب بضرورة القراءة بشكل منتظم وبشكل مستدام.

2- المكتبة:

على الوالدين تعويد الطفل ارتياد المكتبة بصحبتهما واستخدام كتبها في سن مبكرة: "على الآباء أن يرتادوا على المكتبات بصحبة أطفالهم، ويعودهم كيف التعامل مع الكتب في نظام واحترام"¹⁹. فالطفل الذي يتعود على الدخول إلى المكتبة ويفتح عينه عليها منذ الصغر يخلق له نوع من الألفة والمحبة للكتاب ومن ثم يتعلق به ويتخذه خير جليس في الأنام، وهذا الشيء الذي يفتقده الطفل اليوم لانشغال الآباء في العمل اليومي. فقارئ اليوم مبدع الغد.

➤ مكتبة الطفل داخل البيت: من الوسائل الهامة التي تلجأ إليها الأسرة لتنمية علاقة حميمة بالكتب تشجيع الطفل على امتلاك الكتب التي قدمت له كهدية والتشجيع، والاحتفاظ بها في رف خاص له بالبيت وتحسيسه بأهمية ما يملك، فعلى الآباء "إنشاء - للأطفال - مكتبة خاصة بهم يحفظون فيها كتبهم، فتشجع فيهم الفخر بامتلاك الكتب، كما تعودهم كيف يحفظون على الكتاب"²⁰.

واقع القراءة في الوطن العربي والجزائر خاصة:

إذا كان الطفل هو الثروة الأساسية للأمة، وأن تنمية القدرة الخلاقية والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى فما هو نصيب الأمة العربية من القراءة، -أمة اقرأ-؟ تشير بعض الإحصائيات إلى أرقام مخيفة حول واقع القراءة في العالم، ونصيب كل الطفل من الكتب والقراءة في العالم برعاية دولته وما تقوم به من إتاحة المواد المقروءة كالكتب والمجلات. فعلى سبيل المثال:

- "نصيب الطفل في أمريكا من الكتب الموجه له سنويا يصل إلى —————"	13260 كتابا
- نصيب الطفل في انكلترا يصل إلى —————	3833 كتابا
- نصيب الطفل في فرنسا يصل إلى —————	2118 كتابا
- نصيب الطفل في روسيا يصل إلى —————	1485 كتابا
- نصيب الطفل في إيطاليا يصل إلى —————	1340 كتابا

أما ما يتعلق بالطفل العربي، فلا يتجاوز نصيبه من الكتاب الموجه له في العام سطرًا واحدًا، وأن متوسط قراءته لا تتجاوز 6 دقائق في السنة²¹. فمن خلال هذه الإحصائيات يتضح غياب كل من الأسرة والمدرسة والدولة. ويلاحظ مدى التراجع الذي تشهده القراءة بشكل رهيب ومخيف في الوطن العربي، فهذه المؤشرات الخطيرة لها من الانعكاسات المستقبلية على الأمة بحدوث عواقب وخيمة كفقدان الهوية وضمور الأمة وتأخرها عن مواكبة الركب الحضاري.

من هذا المنطلق لا بد من غرس بذور التجديد والإصلاح لبناء الفرد العربي بناء قويا وسليما، وشيوع الوعي المكتبي والقرائي في أوساط الشباب هو السبيل إلى صناعة جيل المستقبل. والجزائر مدركة مدى خطورة هذا الوضع، فهي تبذل قصارى جهودها للنهوض وإحياء ثقافة القرائية في أوساط الشباب، فقد لوحظ في الآونة الأخيرة تزايد عدد المكتبات الجديدة على مستوى مدينة تلمسان، تحمل أسماء ورموز

وطنية مثل : مكتبة محمد ديب في إمامة، مكتبة القيروان في وسط المدينة، مكتبة أوجليدة، مكتبة المركز الثقافي الإسلامي، مكتبة دار الثقافة، مكتبة سليمان قارة بودغن، مكتبة دار الحديث... وفي هذا الصدد، ينبغي للجزائر بذل مجهودات جبارة في مجال الاهتمام بالناشئة عن طريق تخصيص الجوائز المالية والتقديرية للمشاركين في الأنشطة الثقافية كما في "مشروع تحدي القراءة العربي".

الخاتمة:

الكتاب ضرورة للروح كما الرغبة للبدن، ومفتاح التفوق يكمن في القراءة والمطالعة، فلنجعل القراءة الهدف الأسمى، والحقيقة أن المسؤولية تشمل الجميع، فالأسرة لها دورها الكبير، والمدرسة لها الأثر الكبير، والمجتمع له تأثيره البالغ، والدولة عليها العبء الأكبر. وأخيرا، فإنّ القراءة ليست من باب الترف الفكري، بل هي وسيلة تربية لغرس حب الكتاب لأنّ بالكتاب والعلم تحيا الأمم وتزدهر، لأنّ الكتاب مشروع الحياة.

نتائج الدراسة:

- من فوائد القراءة للطفل، الزيادة في محصوله اللغوي، فمع كلّ كتاب يضيف الطفل ألفاظا جديدة إلى رصيده اللغويّ والمعرفي.
- يكتسب الطفل من القراءة والمطالعة مهارة الانتباه والتركيز.
- تعليم الطفل احترام وتقدير الكتاب، لأنّ فيه فائدة ومتعة.
- اختيار الكتاب المناسب للمرحلة العمرية ضروري، حجم الكتاب، صور واضحة.
- توفير البيئة المناسبة للطفل ينمي قدرته الإبداعية.
- تقديم الدعم والتشجيع من طرف الأسرة والمدرسة.
- يجب الاهتمام بسمات القارئ الجديد، للطفل المبدع.
- تكوين مكتبة متنوعة في البيت.

الهوامش:

-
- ¹ - قراءات الأطفال، حسين شحاتة، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996، ط 3، ص 22.
 - ² - أدب الطفل دراسات وبحوث، حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ط 2، ص 36.
 - ³ - قراءات الأطفال، حسين شحاتة، ص 30.
 - ⁴ - أدب الطفل دراسات وبحوث، حسن شحاتة، ص 36.
 - ⁵ - قراءات الأطفال، حسين سيد شحاتة، ص 16.
 - ⁶ - المحاظ دراسة عامة، جورج غريب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2، ص 24.
 - ⁷ - الحيوان، للحافظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الأول، 1965، ط 2، ص 38.
 - ⁸ - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، المجلد الخامس عشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 75.
 - ⁹ - الفن ومذهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1979، ط 7، ص 155.

-
- 10 - معايير الديمقراطية، رسمي الشناعة، تقديم طيب تيزيني، دار الينابيع، دمشق، 2007، ط 1، ص 162.
 - 11 - قراءات الأطفال، حسين شحاتة، ص 27
 - 12 - المرجع نفسه، ص 30.
 - 13 - أدب الأطفال في العالم المعاصر، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000، ط 1، ص 237.
 - 14 - أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ط 1، ص 44.
 - 15 - المرجع نفسه، ص 19
 - 16 - المرجع نفسه، ص 22.
 - 17 - أدب الطفل دراسات وبحوث، حسن شحاتة، ص 49.
 - 18 - مصدر المعلومات شبكة الإنترنت.
 - 19 - أدب الطفل دراسات وبحوث، حسن شحاتة، ص 16.
 - 20 - المرجع نفسه، ص 48.